

وظائف السنة وعلاقتها بالقرآن — ورقة الدرس

القرآن والسنة متصلان في هداية المسلم: يأمر القرآن باتباع الرسول، وتبين السنة مراد الله وتفاصيل العمل. لفهم هذه الصلة نقرأ خمسة وجوه مع أمثلتها؛ وهي عناوين تعليمية تتداخل أحياناً، لا أدلة متنافسة ولا تقسيماً وحيداً عند جميع العلماء.

لمن؟

للقارئ الذي عرف المدخل العام إلى القرآن والرسول ﷺ والحديث، ويريد أن يفهم كيف يقرأ عناوين وظائف السنة من غير قفز إلى الفتوى أو الأمثلة السريعة.

طريقة الاستعمال

الشرح أولاً، ثم سؤال المراجعة. الإجابة في آخر الورقة والمراجع مع الفقرات.

01 البيان: من الأمر إلى معرفة كيف نعمل به

البيان اسم واسع لإظهار المراد، ومن أبرز صوره تفصيل المجل: يرد الأمر في القرآن، وتأتي السنة لتشرح كيفيته. فالقرآن يأمر بالصلاة، ويبين الرسول ﷺ للناس كيف يصلون بقوله وفعله. لا نضيف هنا عبادة أخرى إلى الصلاة؛ بل نتعلم الصلاة التي أمر الله بها. في حديث مالك بن الحويرث يتصل التعليم بالمشاهدة: أقام هو وأصحابه عند النبي، ثم أمرهم عند رجوعهم أن يصلوا كما رأوه يصلي. يفهم القارئ من هذا أن الفعل النبوي نفسه قد يكون شرحاً مقصوداً، وأن تعليم الدين جمع بين السماع والعمل. ويمتد البيان إلى تفسير لفظ أو توضيح معنى، فلا ينحصر كله في وصف الحركات. وعند استعماله بالمعنى الواسع يدخل تحته التخصيص والتقيد الآتيان؛ أفردناهما لأن لكل منهما سؤالاً أدق.

القرآن الكريم — بيان الرسول ﷺ

لتبين للناس ما نزل إليهم

جعل الله بيان ما أنزله من مهمة الرسول ﷺ؛ فمعرفة القرآن تشمل معرفة بيانه النبوي.

سورة النحل، الآية 44؛ تفسير ابن كثير

المرجع الأصلي: quran.ksu.edu.sa

تعليم الصلاة بالقول والعمل

وصلوا كما رأيتوني أصلي

ربط النبي ﷺ صلاة أصحابه بما شاهدوه من صلاته؛ وهذا مثال واضح لبيان المجل بالتعليم العملي.

صحيح البخاري، كتاب الأذان، حديث 631، عن مالك بن الحويرث

المرجع الأصلي: sunnah.com

02 التأكيد: اتفاق الكتاب والسنة على الحكم

التأكيد أن تأتي السنة بحكم موافق لما قرره القرآن، فتجتمع دلالة النصين عليه. ومن أمثلته طاعة الرسول: يأمر بها القرآن، ويقرر الحديث أن من أطاع الرسول فقد أطاع الله. ليس الاتفاق تكراراً عديم الفائدة؛ فهو يرسخ الحكم ويبين منزلته في تعليم النبي للأمة. الفرق عن تفصيل المجل أن المثال هنا يقرر أصل الحكم نفسه، بينما مثال الصلاة السابق يشرح كيفية امتثاله. وقد يجمع الحديث تأكيد أصل مع تفصيل جانب منه، لذلك لا يلزم أن تكون وظائفه صناديق لا تلتقي.

ويعرض ابن القيم في إعلام الموقعين موافقة السنة للكتاب أحد الوجوه الجامعة للعلاقة بينهما. فهذه المصطلحات تصف صلة أدلة متكاملة، وليست درجات يتفاضل بها قدر كلام الرسول.

القرآن الكريم — طاعة الرسول ﷺ

أطيعوا الله وأطيعوا الرسول

الأمر بطاعة الرسول دليل على أن اتباعه من الدين، وليس اختياراً منفصلاً عن طاعة الله.

سورة النساء، الآية 59؛ تفسير ابن كثير، فقرة الرد إلى الله والرسول

المرجع الأصلي: quran.ksu.edu.sa

طاعة الرسول من طاعة الله

من أطاعني فقد أطاع الله

يؤكد الحديث أن طاعة النبي ﷺ متصلة بطاعة الله الذي أرسله.

صحيح البخاري، كتاب الأحكام، حديث 7137

المرجع الأصلي: sunnah.com

إعلام الموقعين لابن القيم — وجوه السنة مع القرآن

يجمع ابن القيم وجوه العلاقة في الموافقة والبيان والحكم الذي سكت عنه القرآن.

الجزء الثالث؛ فقرة السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه، ثم أمثلة تخصيص القرآن بالسنة

المرجع الأصلي: ar.wikisource.org

03 التخصيص: أي أفراد العام يتناولهم الحكم؟

العام لفظ يشمل أفراداً متعددين، والتخصيص بيان أن بعضهم لا يدخل في حكمه بدليل. تقول آية المواريث: «يوصيكم الله في أولادكم»، ثم يرد الحديث في اختلاف الدين في الإرث. القرابة موجودة، لكن السنة تبين صورة لا يجري عليها الحكم العام نفسه.

إذن السؤال هنا عن الأفراد: هل كل من تحقق فيه اسم الولد يدخل في الحكم دون اعتبار آخر؟ يبين الحديث أن الجواب ليس كذلك. ويبقى العام معمولاً به في بقية أفراد، فلا يكون تخصيصه إبطالاً للآية.

هذا المثال مذكور عند ابن القيم في بحث تخصيص القرآن بالسنة، ونص الحديث في صحيح البخاري. والغرض هنا فهم العلاقة بين العام والخاص، لا حساب تركة؛ إذ يجمع باب الفرائض أسباب الإرث وشروطه وموانعه جميعاً.

القرآن الكريم — آية المواريث

يوصيكم الله في أولادكم

لفظ الأولاد هو محل العموم في المثال، وحديث أسامة يبين الصورة المستثناة.

سورة النساء، الآية 11

المرجع الأصلي: quran.ksu.edu.sa

حديث اختلاف الدين في الإرث

لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم

يمثل الحديث تخصيص عموم القرابة في آيات المواريث؛ فالقرابة ليست السبب الوحيد الذي ينظر إليه هذا الحكم.

صحيح البخاري، كتاب الفرائض، حديث 6764، عن أسامة بن زيد

المرجع الأصلي: sunnah.com

إعلام الموقعين لابن القيم — وجوه السنة مع القرآن

يجمع ابن القيم وجوه العلاقة في الموافقة والبيان والحكم الذي سكت عنه القرآن.

الجزء الثالث؛ فقرة السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه، ثم أمثلة تخصيص القرآن بالسنة

المرجع الأصلي: ar.wikisource.org

04 التقيد: وصف أو مقدار يحدد المطلق

المطلق يذكر الحقيقة دون قيد في الجهة محل البحث، كذكر الوصية دون تعيين مقدارها. والتقيد أن يأتي دليل يبين وصفاً أو مقدارا معتبرا فيها. ففي آية المواريث وردت الوصية، وبين النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص مقدار الثلث مع قوله إن الثلث كثير.

السؤال هنا ليس: أي الأولاد يدخل في حكم الإرث؟ بل: ما المقدار الذي يتناوله الإذن في هذه الوصية؟ بهذا يفترق مثال التقيد عن مثال التخصيص السابق. وتذكر مادة المطلق في الموسوعة الأصولية لوزارة الأوقاف هذا التطبيق بربط الآية بالحديث.

في الحديث أيضا معنى تربوي: رعاية حال الورثة وعدم تركهم محتاجين. فلا ننظر إلى العدد منعزلا عن كلام النبي في حقوقهم. ولأبواب الوصية تفاصيل، منها الوصية للوارث وإجازة الورثة؛ المقصود هنا بيان أثر قيد المقدار، لا استيفاء أحكام الباب.

الوصية في آية المواريث

من بعد وصية يوصي بها أو دين

لم تعين هذه العبارة مقدار الوصية؛ يبين الحديث جهة التقيد بالمقدار.

سورة النساء، الآية 11

المرجع الأصلي: quran.ksu.edu.sa

حديث سعد بن أبي وقاص في الوصية

فالثلث، والثلث كثير

يبين الحديث مقدار الوصية في قصة سعد، ويربط ذلك بحق الورثة وحاجتهم.

صحيح البخاري، كتاب الوصايا، حديث 2742

المرجع الأصلي: sunnah.com

المطلق — علي جمعة، منصة وزارة الأوقاف المصرية

تشرح المادة المطلق وتذكر الوصية مثالا على تقييده بدليل السنة.

مادة المطلق، فقرة الوصية وتقييدها بالثلث

المرجع الأصلي: awkafonline.gov.eg

05 أحكام جاءت بها السنة بنصها

جاءت السنة بأحكام لم يذكرها القرآن بخصوص ألفاظها، ومنها منع الجمع في الزواج بين المرأة وعمتها أو خالتها. تلزم هذه الأحكام لأن الله أمر بطاعة رسوله. ويعبر عنها بعض العلماء بالتشريع المستقل، أي استقلال ذكر الحكم المفصل في السنة، لا استقلال الرسول عن الله في أصل التشريع.

وهذا المثال نفسه يدرسه العلماء من جهة تخصيص عموم الإباحة في القرآن. لا تناقض بين الجهتين: قد ننظر إلى موضع ورود الحكم المفصل، وقد ننظر إلى صلته بعموم قرآني. لذلك عرض ابن القيم وجوه العلاقة في ثلاثة أقسام كبرى، بينما يفصل الدرس صور البيان في عناوين أكثر.

تتضح الصورة الآن: التأكيد يقرر الحكم، وبيان المجمل يشرح ما يحتاج إلى تفصيل، والتخصيص يتعلق بأفراد العام، والتقيد بصفة أو مقدار، والسنة تأتي أيضا بحكم خاص لم يذكر بنصه في القرآن. يجمعها كلها اتباع رسول الله وفهم هديه مع كتاب الله.

النهي عن الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها

لا يجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها

ورد هذا الحكم بنصه في السنة، ومنشأً حجته أمر الله باتباع الرسول ﷺ.

صحيح البخاري، كتاب النكاح، حديث 5109، عن أبي هريرة

المرجع الأصلي: sunnah.com

إعلام الموقعين لابن القيم — وجوه السنة مع القرآن

يجمع ابن القيم وجوه العلاقة في الموافقة والبيان والحكم الذي سكت عنه القرآن.

الجزء الثالث؛ فقرة السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه، ثم أمثلة تخصيص القرآن بالسنة

المرجع الأصلي: ar.wikisource.org

06 سؤال وإجابة

لماذا اختلف مثال الإرث عن مثال مقدار الوصية؟

الأول يبين أفراد العام، والثاني يقيد المقدار. اختلاف الدين مثال للتخصيص في باب الإرث، والثالث مثال للتقييد في الوصية. معرفة السؤال الذي يعالجه كل دليل توضح الفرق.

وسع من هنا

المقالات والمراجع

وظائف السنة وعلاقتها بالقرآن

المقال الكامل وأدلته.

المقال في لماذا الحديث؟